



المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: العولمة وحقوق الانسان نموذج الوطن العربي

اسم الكاتب: أ.م.د. حسيب عارف العبيدي

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/index.php/library/1935>

تاريخ الاسترداد: 2026/05/12 09:30 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسية مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكرية ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينصوي المقال تحتها.



العولمة وحقوق الانسان "نموذج الوطن العربي"

الاستاذ المساعد الدكتور

حبيب عارف العبيدي (*)

القيمة

لكل عصر قضيته التي تستقطب حركة المجتمع ونشاط الفاعلين في تلك الدول من ثورة الصناعية والبارود إلى الدولة القومية ثم عصر التنوير وحروب الاستقلال وتطور بناء الاشتراكية وفكرة "علو البروليتاريا" والثورات الشعبية وصولاً إلى النظام العالمي الجديد. واليوم فإن العولمة وحقوق الإنسان والليبرالية الجديدة مفاهيم أشغلت العلم وكتب عليهما الكثير بين من يؤيد وبين من يرفض، وحال هذه المفاهيم كحال غيرها فمن نظرية احتواء الشيوعية إلى بناء النموذج العالمي الديمقراطي، فقد سيست هذه المفاهيم واستخدمت بشكل واسع من أجل إجراء تغييرات على البنية السياسية الدولية وبناء نظام دولي يستند إلى مفاهيم صيغت من قبل القوى المهيمنة على النظام الدولي. تلك المفاهيم للولوج إلى الشأن الداخلي للدول تحت شعارات اقترنت بالعولمة حقوق الإنسان كالشرعية الدولية ومكافحة الإرهاب وبناء عالم واحد أمثل. إن دعوات الإصلاح التي تطلقها الدول المهيمنة، ليس لإصلاح داخلي لها وإنما لدول العالم الثالث لتتواءم مع تلك التي تختلف معها فكرياً وسياسياً. فالإصلاح أصبح السبيل الأمثل للتدخل في شؤون المنظمات الدولية لا سيما الأمم المتحدة من محتواها الدولي الإنساني الرامي إلى ضمان الأمن والسلم للجميع، واستخدمت إشبع استخدام ضد شعوب العالم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والدول ذات المصلحة. إن القوى الدولية الخفية قد است كل المفاهيم وحولت مبادئ العدالة وحقوق الإنسان إلى فعل سياسي تبغي منه تحويل دول العالم الثالث إلى دول مستقلة لصالح مصالحها الدولية وعلى حساب الشعوب في العالم الثالث. إن تحويل العولمة من فعل اقتصادي إلى سياسي وكذلك حقوق الإنسان التي انحرفت عن مسارها الإنساني لتصبح قضية سياسية وسلاح ضد الشعوب المغلوبة على أمرها جراء الأنظمة الحاكمة المستبدة إضافة إلى الآثار التي نتجت على تطور النظام الاقتصادي العالمي والتي عطلت كل خطط التنمية في العالم الثالث وأصبح يعيش حالة ارتداد في هذا المجال ويركض وراء سراب وأمال مره

مزاي العولمة والتجارة العالمية ومرة بناء الديمقراطية التي تجلب له المنافع. إن العولمة ومظاهرها السياسية لا يمكن الرجوع عنها وهي ستتواصل، والمشكلة في جعلها تعمل بصورة صحيحة ولكي تعمل بصورة جيدة يجب أن تكون هناك مؤسسات عامة دولية تسهم في تحديد القواعد. وعلى هذه المؤسسات أن تركز اهتمامها على المشاكل التي يكون العمل الجماعي العالمي على حلها مرغوبا فيه وربما ضروريا. لقد حصل كثير من التقدم في هذه المسائل خلال الثلاثين سنة الأخيرة، بتنا نفهم أكثر ما هي الحالات التي تقتضي عملا جماعيا، عالميا، أو لا. لقد تمت الإحاطة بشكل أفضل خلال العقد الحالي، بالمستوى-المحلي والوطني والعالمي-الذي يستحسن فيه العمل الجماعي. فالتدخلات التي يحس الناس بمنافعها محليا بصورة أساسية-مثل التلوث المحلي-يجب أن تحصل على المستوى المحلي. إن معنى العولمة هو اكتشاف ميادين متكاثرة يكون التأثير فيها عالميا وهنا يكون العمل العالمي مطلوبا رغم اخفاقات العولمة في كثير من الميادين بسبب طبيعة الآليات التي تعمل بموجبها العولمة كمنظمة التجارة العالمية والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي التي تتحكم فيها إرادة الدول التي تمتلك فيهما أعلى الأصوات والأكثر مساهمة في رأسمالهما.

إن عولمة حقوق الإنسان وإعطائها طابعا سياسيا ربما قد اثر سلبا وإيجابيا في الوقت ذاته على مسار الحكومات والنظم السياسية وقد يكون قد عرقل عملية تطور آليات حقوق الإنسان مع ضمان الاستقلال والسيادة الوطنية. إن العولمة في هذا الإصر قد أثرت على قواعد عمل حقوق الإنسان وآلياتها ونطاق تطبيقها، فالمجتمع المدني تأثر والمنظمات غير الحكومية قد تأثرت أيضا. ونحن في هذا البحث سنركز جل اهتمامنا على استطلاع متواضع لمفهوم العولمة ثم المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية وأثار العولمة عليهما ومن التعرّيج عند تأثير ذلك على حقوق الإنسان ودور الدولة الوطنية في ذلك.

والله الموفق

الباحث

مفهوم العولمة

افصح. إن
مكلة في
مؤسسات
مها على
وريا. لقد
الكثير ما
كل أفضل
فيه العمل
ل التلوث
ف ميادين
م اخفاقات
ة كمنظمة
الدول التي
إيجابيا في
ملية تطور
هذا الإضر
ع المدني قد
ضع لمفهوم
هما ومن ت

كل حرب تبدأ من الكلمة، وبالكلمة تنتهي، لا سيما وإن الحرب هي استمرار السياسة ولكن بوسائل أخرى. والحرب الباردة التي بدأها تشرشل بخطابه في فولتيرن عام ١٩٤٦ كانت قد بدأت بكلمة بعد انتصار الحلفاء وانطلقوا بحرب جديدة من أجل السيطرة على العالم، إنها حرب الكلمات، لأنها بدأت وانتهت دون أن تطلق طلقة واحدة منمرة (سلاح شامل) ولكن السلاح الأساسي في هذه الحرب العولمة. لا شك إن العولمة ظاهرة متعددة الأوجه ومعقدة الجوانب، قديمة، جديدة، ومن الصعوبة بمكان العرض في تفاصيل وتأصيل المفهوم من خلال بحث موجز، لكن نحاول أن نحدد المفهوم، وبذلك يمكن القول إن أفكار العولمة حقيقية، لم تظهر لأول مرة لا في نهاية القرن العشرين ولا في الولايات المتحدة أو أوروبا ولكن يمكن القول إن أول إنسان عولمي في تاريخ البشرية، كان الأنبياء والرسل والمصلحين الذين تجاوزوا الاختلافات والفروقات بين الشعوب والأمم، فالسيد المسيح (عليه السلام) كان قد أعلن منذ ألفي عام إن ما يجب أن يوحد البشرية ليس الانتماء لعرق أو لشعب أو دولة ما، وإن ما يوحدنا هي ((فكرة علوية)) حول الأخوة والمساواة الكاملة، وهكذا جاءت الرسالة الصحية رسالة الإسلام لتعلن عن فكر عالمي أممي يتجاوز كل الحدود ويرسم خريطة للبشرية لا تستند إلى قواعد اختلافية وإنما تقوم على أساس فكرة الإيمان بالله الواحد (الوحيد) والمساواة بين الناس، لكن قطعاً لم يكن المسيح (عليه السلام) ولا الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يقصدان أن تحكم العالم حكومة عالمية. وقد يذهب البعض إلى إن جذور العولمة مرتبطة ببزوغ الحضارات الإنسانية في بلاد الصين، الهند، ترافدين ومصر القديمة. فالعولمة وفقاً للفهم هذا ليست ظاهرة جديدة بل قديمة (عما كانت تنصدر حضارة ما كباقي الحضارات وتقود العالم، قام بذلك مجموع شرق مرة في الصين، الهند، فارس، ما بين النهرين، كنعان ومصر القديمة، وقامت تلك الحضارة العربية الإسلامية كحلقة وصل بين حضارات الشرق وحضارات الغرب.. وقام بذلك مجموع الغرب مرة أخرى، واليونان والرومان ثم الغرب الحديث)). والعولمة عند جلال أمين تمتد جذورها إلى خمسة قرون على الأقل فإن مفهوم العام الذي شاع استخدامه في نهاية القرن العشرين تشير عناصره الأساسية إلى أنه مفهوم قديم، ((العناصر الأساسية في فكرة العولمة: ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم، سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو في انتقال رؤوس الأموال، أو انتشار المعلومات والأفكار- كل هذه العناصر يعرفها العالم منذ عدة قرون وعلى الخصوص منذ الكشوف الجغرافية في أواخر القرن الخامس عشر، أي منذ خمسة

مجلة البرافدا عدد يوم ١٧/١/٢٠٠٤.

عن حفي وصادق جلال العظم، ما العولمة، دار الفكر، دمشق، ط١-١٩٩٩، ص١٧.

قرون))^٣. وهناك من يقول إن فكرة العولمة قد بلغت ذروتها أبان المد الاستعماري في القرن التاسع عشر، ولكن بدأ انحسارها في الربع الأول من القرن العشرين ومرحلة ما بين الحربين ثم في مرحلة حركة التحرر الوطني، و لكن بعد تراجع حركة التحرر والتحول من الثورة إلى الدولة عاد الاستعمار والإمبريالية الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية من جديد في صورة العولمة ومؤسساتها، كالبانك الدولي، صندوق النقد الدولي، منظمة التجارة العالمية والتبعية السياسية وتجاوز الدولة القومية. إن العولمة ظاهرة تاريخية مستمرة تعبر عن رغبة مجموعة من الدول في السيطرة على العالم لكنها ذات مظاهر سياسية، اجتماعية، اقتصادية، معلوماتية، وتقنية. ولتأكيد تاريخية هذه الظاهرة يمكن الاعتماد على النموذج الذي أعده ((رولاند روبرتسون)) فإن نقطة البداية عنده ظهور الدولة القومية باعتبارها نقطة تاريخية فاصلة في تاريخ المجتمعات المعاصرة، فقد حدد خمسة مراحل لتطور مفهوم العولمة. المرحلة الجنينية (تبدأ في القرن/١٥ وحتى منتصف القرن/١٨) ومرحلة النشوء (استمرت حتى عام ١٨٧٠ وما بعده)، مرحلة الانطلاق (من عام ١٨٧٠ حتى العشرينات من القرن العشرين)، مرحلة الصراع من أجل الهيمنة، (بدأت في العقد الثاني من القرن العشرين وحتى عقد الستينات منه). والمرحلة الأخيرة مرحلة عدم اليقين (بدأت في الستينات من القرن العشرين وإلى الان مستمرة)، فالمرحلة الأخيرة مستمرة مؤشراتنا، المجتمع المدني، المواطنة العالمية، نظام الإعلام الكوني، حقوق الإنسان البيئية الكونية^٤. ولكن نموذج روبرتسون يبدو انه قد ذهب مذهب الكثير من المفكرين من أن بداية العولمة قد اقترنت بالاكتشافات الجغرافية والدولة القومية والصناعية، لكننا نعتقد إن عولمة الفكر كانت قد بدأت مع فجر الرسالات السماوية تحديدا. لكن مقابل المفهوم الفكري الإلهي للعولمة هناك تطور فكري مقابل بدأ نشوء وتمكن الأفكار ما فوق الوطنية لمفكرين اشتراكيين-طوباويين أمثال سان سير فوريه ، بلانكي أو الشيوعيون كماركس، انجلس، ولينين، فقد حلت فكرة البرولينارييا" محل "الله" سبحانه وتعالى كمركز موحد جامع للعالم في الفكر الشيوعي. فتحت شعار "يا عمال العالم اتحدوا" وليس "للعامل وطن" انطلقت أصواتها واغرب تجربة سياسية أممية في التاريخ، واليوم بدلا من الاشتراكيين-الامميين "العولميون" المحدثون بموجة جديدة مع أفكارهم حول الاقتصاد الاممي وفكرة حكم عالمية واحدة. الملاحظ انه مع كل انقلاب سياسي دولي جديد نرى المنتصرين يحدون فقط إلى تغيير الغطاء الأيديولوجي للإصلاحات الجارية في حين إن جوهر

^٣ جلال أمين ، العولمة والدولة، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨، ص١٥٣.

^٤ السيد يسين، في مفهوم العولمة، العرب والعولمة، مصدر سابق، ص٣٠-٣١.

الحرية هو ذاته: "السيطرة" ما فوق الحكومية وما فوق الوطنية، والكاملة للأقلية على
 بلد معين ومن ثم على شعوب كل العالم، الهدف دوما السيطرة الشاملة،
 الاقتصادية على العالم، إنما اللحظة التاريخية فقط هي التي تفرض من حين لآخر
 التوجهات السياسية اللازمة لتحقيق ذات الهدف أولا وأخيرا. فمن اجل الاستيلاء على
 ما يتوجب بداية تأسيس وصياغة ومن ثم زرع الغطاء الأيديولوجي اللازم لمثل
 هذا "عملية". ولهذا يتم اليوم الاستيلاء على الصحف وقنوات التلفزة والقضائيات كما
 كان سابقا يسعون ولو عبر المعارك والقتال للسيطرة على محطات القطارات ومراكز
 البريد والهاتف. نظريا، أكثر أهمية فهو إن أية عولمة حالية أو لاحقة لا تضع هدفا
 لها تحسين مستوى معيشة الأغلبية، أما على ارض الواقع فهو مجرد شعار.
 إن العولمة تسبب فرزا عميقا في المجتمع وفق درجة التملك لان راس المال
 الوطني يتحول إلى راس مال عابر للحدود حينها فإنه يفقد بقايا الوطنية، ذلك إن
 الشركات الفوق-قومية (متعددة الجنسية) وبعد أن تتحرر من انتمائها لأية دولة، تبني
 صناعتها ومؤسساتها أينما تجد أيدي عاملة رخيصة ومواد خام وبالتالي فان الذين
 اعتادوا على أجور عمل ممتازة لقاء أعمالهم الرفيعة سيفقدون أماكن العمل وبعدها
 الأجر العالية. كما انه، وهذا هو الأهم، لن يعود هناك مفهوم ((خيانة الوطن)) بالنسبة
 لك "المواطن العولمي"، طالما إن مفهوم الوطن بحدوده المعروفة سابقا لم يعد له
 وجود بالنسبة لذلك "المواطن المعولم". بل ينشأ لديه مفهوم جديد هو "البيت" الذي يبنيه
 أو يشتريه حيث يجد الراحة في لحظة ما. أن العولمة ليست مفهوم مجرد، فهي عملية
 مستمرة يمكن رصدها وملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة
 والاقتصاد والثقافة والاتصال. إن كل هذه النشاطات المذكورة في عالم اليوم لها بعد
 كوني دولي متزايد، وهنا يمكن الإشارة إلى أربع عمليات أساسية للعولمة وهي،
 العنصرية بين القوى العظمى (الكبرى) بعد انهيار نظام القطبية الثنائية، الابتكار الثقافي
 وانتشار عولمة الإنتاج والتبادل والتحديث. ويرى البعض أن تحديد مفهوم للعولمة
 يعني أن ينطلق من نقطة تحديد المشكلات المرتبطة بالمفهوم أصلا، وبالتالي يعتقد أن
 وضع تعريف للعمولة سابقا لأوانه أو مبكرا يتلائم مع التنوع الكبير للظواهر التي
 تشكل إطار حركة النظام العولمي، فالعولمة لها علاقة بمستويات متعددة للتحليل،
 الاقتصاد، السياسة، الفكر... الخ في ظل ذلك كله فان عملية صياغة مفهوم متكامل
 للعولمة عملية صعبة وحتى لو تحققت إلا انه سيواجه اختلافات كبيرة ومتعددة في

ري في
 حلة
 التحرر
 السياسية
 صندوق
 ية. إن
 رة على
 ولتأكي
 تسون))
 ي تاريخ
 الجينية
 حتى
 ن القرن
 العشرين
 في عا
 تمرة مع
 الإنسان
 المفكرين
 والثورة
 السماوية
 ل بدأ مع
 ن سيمون
 كرة "ع
 الديني
 ت اضخ
 ميين ج
 رة حكومة
 بن يلجأون
 بوهر

المصدر نفسه، ص ٢٥.

⁶ Anthony G. MC Grew and paul lewis, Globa (Politics, cambridge polity press. 1992 pp 24-25.

اعتماده أو قبوله^٧. ويرى السيد ياسين أن الاقتراب من صياغة تعريف شامل للعولمة لابد أن يضع في الاعتبار ثلاث عمليات تكشف عن جوهرها:
العملية الأولى تتعلق بانتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لدى جميع الناس، والعملية الثانية تتعلق بتدوير الحدود بين الدول، والثالثة زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمجتمعات والمؤسسات.

وكل هذه العمليات قد تؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة إلى بعض المجتمعات وإلى نتائج إيجابية بالنسبة إلى بعضها الآخر. إذن جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني. إلا أن صادق جلال العظم لديه صياغة أخرى لمفهوم العولمة ينطلق من بعد اقتصادي ((هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقايدتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ))^٨. وفق المفهوم لصياغة العظم فإن العولمة هي تسليع كل شئ بصورة أو بأخرى وفي كل مكان بما في ذلك أشكال الإنتاج غير الرأسمالية وقبل الرأسمالية وتلك التي كانت محاذية وموازاة لأشكال الرأسمالية، إنها أممية رأس المال على الأصعدة كلها وعلى المستويات كافة تعني العولمة، الانتصار من حيث المبدأ. وفي كل مكان تقريبا لنمط معين من أنماط الملكية ولنمط معين من السيطرة على وسائل الإنتاج، ولنمط معين من التحكم بقرى الإنتاج وعلاقاته والتبادل والتوزيع^٩. مقابل هذا الفهم للمفهوم، يرى آخرون إنها شكل جديد من أشكال الهيمنة، الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، فالعولمة في بعد سياسي أحد أشكال الهيمنة السياسية بعد تفرد قطب واحد بالسيطرة العالمية، فالعولمة نقبض الدولة المستقلة الوطنية. ويقترب من ذلك محمد عابد الجابري الذي يرى العولمة هي ((إلى جانب كونها نظاما اقتصاديا هي أيضاً أيديولوجية تعكس هذا النمط وتخدمه وتكرسه))^{١٠}. يعني وفقا لمفهوم الجابري، فإن العولمة هي تعميم أو فرض نمط من الأنماط التي تخص بلد أو جماعة وجعله يشمل الجميع، العالم كله. وقد ذهب مع ما ذهب إليه الجابري من أن العولمة ليست نظاما اقتصاديا فحسب بل ثقافي، عليه "ثقافة الاختراق"^{١١}. ويشير الجابري إلى إحلال كلمة أيديولوجية محل

٧ جيمس روزناو - دينا ميكية العولمة، قراءات استراتيجية - مركز الدراسات الاستراتيجية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة-١٩٩٧، ص ٣٦-٣٧.

٨ د.حسن حنفي وصادق جلال العظم - مصدر سابق، ص ١٢٥.

٩ المصدر نفسه، ص ١٢٦.

١٠ محمد عابد الجابري - قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ٢٠٠٣، ص ١٣٦-١٣٧.

١١ محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية، قضايا الفكر العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-١٩٩٤.

مامل للعولمة... قان مظاهر العولمة تكشف عن هويتها الأيديولوجية، وهي كأيديولوجية تنوم... ركائز الأولى شل الدولة الوطنية وبالتالي تفتتت العالم لتمكين شبكات... الجديدة والشركات العملاقة متعددة الجنسية من الهيمنة عليه والسيطرة على... والتتية توظيف الأعلام ووسائل الاتصال الحديثة في عملية الاختراق الثقافي... العقل. والثالثة التعامل مع العالم، مع الإنسان في كل مكان تعامل لا... تعامل يحكمه مبدأ البقاء للأصح. لذا فانه يؤكد الطابع الأيديولوجي للعولمة... ل في... الطريقة الإمبراطورية، وهو يستعير كلام مسؤول أمريكي،... أو السياسة منظورا إليها من زاوية الجغرافية وبالتالي الهيمنة... أصبحت تعني مراقبة السلطة اللامادية، سلطة تكنولوجيا الأعلام التي ترسم... "الفضاء السيبرنيتي" حدود المجال الاقتصادي والسياسي التي ترسمها... الإلكترونية المتطورة. وهكذا فبدلا من الحدود الوطنية تطرح... للعولمة حدود أخرى غير مرئية ترسم شبكات الهيمنة العالمية على... والأنواق والثقافة. أن مفهوم العولمة يبلغ من الانتشار مبلغا يجعله يغطي أشد... والمصالح الاجتماعية تباينا. فهو يغطي الطيف السياسي من اليمين... وهو مقبول في شتى العلوم، ومع ذلك يرى البعض أن العولمة خرافة... لكنها خرافة تسرق منا الأمل، أن الأسواق الكونية مسيطرة ولا... أي مشروع سياسي، حيوي، مناوئ، لأن هناك اعتقاد بانتهاء كل... الديمقراطية الغربية واشتراكية، الكتلة السوفيتية^{١٢}.

لمية، فالتختلف وجهات النظر حول مفهوم وطبيعة العولمة واحتدم الصراع بين... والمناهضين وكلهم على حق، فالعولمة وأثارها حمالة اوجه واذلك تختلف... إلى المفهوم.

ما هي العولمة التي تثير هذا التوتر من الانتقادات ومن المديح في آن واحد؟... كونه. وقد... تاريخية مستمرة تعني ذلك الاندماج الأوثق بين الدول والشعوب في العالم... من جهة، بسبب الانخفاض الكبير في كلفة النقل والاتصال، ومن جهة... إزلة الحواجز أمام تنقل الأموال والخدمات والرساميل والمعلومات... والأفكار والأشخاص عبر الحدود. وصاحب العولمة إنشاء مؤسسات جديدة... مع مؤسسات أخرى لأجل التعاون عبر الحدود. وفي المجتمع المدني الدولي،... وتكتلات ومنظمات غير حكومية تهتم بالحقوق المدنية والحريات... وأنشأت جبهات مشتركة مع منظمات قائمة من أجل خلق بيئة

١٤٤-١٤٥.

الوحدة... جراهام توميسون، ما العولمة، عالم المعرفة، العدد ٢٧٣، الكويت-٢٠٠١،

وتقافة عالمية تتجاوز الحدود السياسية للدول، وتتجاوز الهويات والاثنيات والولاءات التحتية للشعوب. فالعولمة تقود إلى النظر نظرة جديدة إلى مؤسسات دولية مشتركة بين الحكومات قائمة منذ زمان طويل، منظمة الأمم المتحدة التي تحرص على صيغة السلام العالمي، ومنظمة العمل الدولية التي تدفع إلى الأمام في العالم كله بالبرنامج الذي يختصره شعارها "عمل لائق" ومنظمة الصحة العالمية التي انشغلت بنوع خاص لتحسين الوضع الصحي في العالم، لكن ربما الخلل في المؤسسات التي تحكم العولمة صندوق النقد الدولي، البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية، فهذه المؤسسات تتقاطع سياساتها أحياناً مع منظمات اقتصادية، ومالية دولية في أحيان كثيرة مثلاً مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية **PNUD** ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية **CNUCED** ومنظمة العمل الدولية، وبنك الإنماء الآسيوي^{١٤}.

لقد حصل ترابط من الناحية السياسية بين العولمة و تدهور مكانة الدولة الوطنية واتساع وانتشار المنظمات غير الحكومية التي تهتم بحقوق الإنسان، ولذلك فإن أي ضعف في مكانة الحكومات عند المواطنين يصحبه زيادة في فاعلية المنظمات غير الحكومية و مؤسسات المجتمع المدني التي أصبحت تشكل شبكة عنكبوت عالمية تتجاوز كل الحواجز، من هنا يأتي التداخل بين حقوق الإنسان والحريات العامة والعولمة وبالتالي الاستقرار من عدمه في الدول. إذن مفهوم العولمة له جوانب إيجابية وسلبية، أن أحد أسباب الهجوم على العولمة هو أنها تبدو مدمرة للقيم التقليدية، والنزاعات واقعية ولا مناص منها إلى حد ما والنمو الاقتصادي سيؤدي إلى انتشار الفساد المدن الذي سينسف أسس المجتمعات الريفية التقليدية، وأن المؤيدون لها لا يدركون الخطر الذي تنتهك على الهوية وعلى القيم الثقافية^{١٥}.

٢. العولمة والمجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية

في العقود الأخيرة من القرن الماضي تزايد عدد المنظمات العالمية غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني من ٦٠٠٠ إلى ٢٦٠٠٠ وتراوحت من حيث الحجم والكثافة من الصندوق الدولي للطبيعة الذي يضم خمسة ملايين عضو إلى منظمات صغيرة تتألف من عدة أفراد في الشبكة العالمية. إن هذه المنظمات تقدم خدمات وتحرك العمل السياسي وتقدم سبل من المعلومات والاتصالات على الساحة بين الشعوب وهي تقدم خدمات أكثر مما يقدمه جهاز الأمم المتحدة، وعلى جانب تقديمها الخدمات، تقوم بدور مجموعات ضغط وتحريك، فقد وقع على تصريح منادٍ لمنظمة التجارة العالمية أكثر من ١٥٠٠ منظمة غير حكومية في عام ١٩٩٩.

^{١٤} ينظر: جوزيف ستيفليتز، خيبات العولمة، دار الفارابي، بيروت، ط١-٢٠٠٣.
 CNUCED. 19, OCT, 1998.

(محاضرة للسيد رؤول بريبيش في قصر الأمم - جنيف)

تتمحور مجموعات من الدول الغنية والفقيرة، المجموعات المناهضة للأسلحة الكيماوية والبيولوجية، وكذلك أعمال المنظمات التي أثرت على سير مفاوضات تغيير المناخ على صيغة "الشمس". ويعتقد بعض المطلعين ان قوة هذه المنظمات والجمعيات تؤثر بشكل سابي بالبرنامج. وع خصص م العولمة ت تقطع مع برنامج CNUCE

كان المجتمع المدني بالنسبة إليهم عبارة عن نمط من أنماط الدولة التي تتميز بكونها بعيدة اجتماعي. وكان المجتمع المدني محكوماً بالقوانين ويقوم على أساس مبدأ المساواة أمام القانون. هذا المجتمع بمثابة عقد اجتماعي يقوم بين أفراد المجتمع، يعرفه بأنه الفضاء الوسيط الفاصل بين العائلة والدولة، حيث يصبح الفرد شخصاً عاماً ويستطيع من خلال انتمائه للمؤسسات المختلفة أن يقيم مصالحته بين العام والخاص¹⁶. لقد فهم المجتمع المدني في القرن العشرين كمجال يشغل الحيز خارج الدولة والعائلة، وليس بالتحديد كمجال فاصل بين الدولة والعائلة، يعني النقاش بين الأيديولوجي والسياسي. إن كل هذه التعريفات تشترك في معنى جوهرى، أنها تعبر عن مجتمع محكوم بمبدأ الموافقة بين الأفراد، أو بالأحرى لمجتمع مرتبط بعقد بين الأفراد. كان التغيير في تعريف المجتمع المدني تعبيراً عن شتى الطرق المتبعة في الموافقة في مختلف الفترات الزمنية، أي هي الحالة التي من خلالها يتفاوض الفرد ويتفاوض ويناضلون ضد بعضهم بعضاً، أو يتوافقون مع المراكز السياسية في الدولة، هناك يستطيع الفرد من خلال الجمعيات التطوعية والحركات الحزبية والاتحادات أن يعمل بصورة علنية. هكذا، ففي مطلع الحقبة الحديثة كان المجتمع المدني يتمحور حول الحقوق المدنية-التحرر من الخوف.

من هنا كان المجتمع المدني مجتمعاً تحل فيه القوانين محل الإكراه بالقوة، وفي منتصف القرن العشرين أصبحت المسألة تتعلق بالحقوق المدنية. وأصبح الناشطون في المجتمع المدني هم من البرجوازية الصغيرة والطبقات العاملة والبرجوازية الصاعدة.

¹⁶ ECONOMIST, Dec, 1999pp 11-12

¹⁷ Mary KAL Door, The idea of Global cirit society- International CNUCED Affairs, Aust, 2003.

وبهذا بدأت فكرة المجتمع المدني تأخذ بعداً كونياً حتى قبل دخول الانترنت واصبح عند هذا الحد ممكناً ظهور ((جزر العلاقات المدنية)) عن طريق امرين هما:
 أ. الروابط مع المجموعات المتماثلة فكراً في بلدان أخرى، كانت شعوب أمريكا اللاتينية مدعومة من قبل جماعات حقوق الإنسان في أمريكا الشمالية. وقد قام الأوروبيون الشرقيون روابط تجمعهم مع جماعات حقوق الإنسان والسلام في أوروبا الغربية الذين دعموهم مادياً وروجوا لقضاياهم ومارسوا ضغطاً على الحكومات والمؤسسات.

ب. وجود تشريعات تتعلق بحقوق الإنسان في العالم تضم حكومات دول العالم أمكن استخدامها كورقة ضغط وكانت بالغة الأهمية بالنسبة إلى أمريكا اللاتينية وفي أوروبا فان اتفاق هلسنكي لعام ١٩٧٥ الذي أسلمته حكومات دول أوروبا الشرقية لتتبار تقاليد الحقوق الإنسانية، شكلت منبراً لظهور مزيد من المنظمات غير الحكومية مثل ميثاق الـ ((٧٧))، وبعبارة أخرى أتاحت الروابط الدولية ومطالبات حكومات العالم لهذه الجماعات إمكانية خلق فضاء سياسي^{١٨}.
 البعد الدولي الأشمل من مفهوم القومية في الفهم الجديد للمجتمع المدني، في تلك الحقبة تجاهلاً من المفكرين الغربيين في إطار تقاليدهم الفكرية. ومع ذلك فهؤلاء المفكرون الجدد (كيك وسيكنك) شددوا على ذلك الفهم بعينه في أوروبا الشرقية-على سبيل المثال المفكر الهنغاري جورج كونراد استخدم عنواناً في كتابه ((ضد السياسة)) عام ١٩٨٢، كما تحدث فاكلاف هافل عن الحضارة العولمية التقنية-وهكذا، فان الفهم الجديد للمجتمع المدني كان في آن واحد الانسحاب من الدولة والانتقال للأنظمة العالمية والمؤسسات العالمية. وقد تغير مفهوم المجتمع المدني بعد عام ١٩٨٩ (انهيار الشيوعية في أوروبا الشرقية)، وأصبح يفهم بأشكال مختلفة جداً، وفي إطار ذلك يمكن تحصيل ثلاث معانٍ أو ثلاثة معايير^{١٩}:

• في المقام الأول مصطلح المجتمع المدني تبنته في كل أنحاء العالم جميع الحركات الاجتماعية الجديدة، والتي كانت منشغلة بالقضايا الجديدة كالسلام والمرأة وحقوق الإنسان والبيئة وأنماط الاحتجاج الجديد، لذا أصبح تعبيراً جيداً عن وجهات الحركات غير المتحيزة سياسياً. وهكذا برزت حركة الناشطين عبر العالم الذين التقوا حول قضايا جديدة كالألغام وحقوق الإنسان والتغير المناخي والأمراض

^{١٨} المصدر نفسه، ص ٣٢-٣٣.

Wick Moor, Revenues, State formation and the Quality of Governance in Developing countries, International political Science Review, vol 25, No.3, 2004 pp 280-297.

كالإيدز، إن هؤلاء جميعاً كانوا قد مارسوا تأثيراً كبيراً في مجال دعم العمليات الخاصة بالحاكمية الدولية **Global Governing** خاصة في المجال الإنساني، نتيجة لهذه التطورات نشأ ما يمكن تسميته ((النظام الإنساني)) وهكذا نشأت حركات جديدة أضيفت إلى سابقتها مثل مناهضة العولمة استخدمت مفهوم المجتمع المدني بهذا المعنى-النظام الإنساني-أو المجتمع المعولم إنسانياً.

ثانياً، بعد ذلك جاءت المؤسسات العالمية وشاركت الحكومات الغربية في حمل هذا المصطلح، فأصبح يشكل جزءاً مما يطلق عليه ((الاجندة السياسية الجديدة)) وقد ساد هذا الفهم في كل أنحاء العالم واعتبر بمثابة آلية لتسهيل الاصطلاحات داخل السوق وإدخال الديمقراطية البرلمانية. إن الأطراف المعنية هنا لم تكن هي الحركات الاجتماعية بل كانت المنظمات غير الحكومية. لكن ما يميز حقبة التسعينات من القرن الماضي إن اغلب الحركات الاجتماعية الجديدة تم تدجينها في إطار مفهوم العالمية.

بعد الثالث، لمفهوم المجتمع المدني هو ((نسخه ما بعد الحداثة)) إن أصحاب تيار ما بعد الحداثة، أن الحركات الدينية والعرقية الجديدة التي نمت خلال العقد الأخير من القرن الماضي ومطلع القرن الحالي، تمثل جزءاً من المجتمع المدني العالمي. إن المجتمع المدني له مضمونان، معياري ووصفي، إن التعريف السالف للتعريف معياري، فلقد قلنا أن المجتمع المدني عملية يتم من خلالها إنتاج البنية، أي مكان الالتقاء بين الأفراد حيث يتفاوضون أو يناضلون ضد أو يتطورون حول مراكز السلطة السياسية والاقتصادية وفي صلب هذه المراكز توجد مؤسسات أو هيئات دولية أو شركات. وأرى إن مفهوم المجتمع المدني العالمي منبراً للحوار الذي يشارك فيه الناشطون والمنظمات غير الحكومية والليبراليون الجدد والقوى الدينية والوطنية حول المجتمع المدني.

إن، هناك علاقة بين المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، البعض يقول إن العلاقة تضادية لكون المنظمات غير الحكومية هي مؤسسات لا ديمقراطية لها غير منتخبة ونطاق عملها شمولي عالمي، بينما المجتمع المدني يتطلب نظاماً قوياً، السيادة فيه للقانون والحوار والرضى والقناعة، لكننا نعتقد إن في هذه العلاقة حصلت تغيرات في القوى المكونة لكلاهما. إن تغيرات القوى جزء مهم من التغيرات الحاصرة في حكم القضايا العالمية. ولقد تزايدت أهمية العاملين في المنظمات غير الحكومية والقطاع الخاص الذين يعملون في شبكات متنافسة متنوعة. ولكن يوجد شيء آخر، إن الأفكار المتغيرة تؤثر الاهتمامات وتحدد سيرها حيث إن التقارب بين المعرفة والمبادئ والمعتقدات مقدمة للتقارب بين المؤسسات وإجراءات الحكم والاتصالات بين الأمم إذا اجتمعت مع الديمقراطية السياسية تشجع تطور المبادئ

الانترنت
بين هما:

بب أمريكا
وقد قد
السلام في
فوطاً على

ول العالم
نا اللاتينية
دول أور
المنظمات
ابط الدولية

سي^{١٨}
مدني، لقي
كربية. وسع

م بعينه في
تخدم عارة
، هافل عن
، كان يعر
رالمؤسسات
شيوعية في
يمكن تعي

مع الحركات
رأة وحق
جهات
العالم
والأمراض

Mick
Governar
science.

العالمية كخلفية تبرز أمامها جزر الحكم^{٢٠}. يمكن رؤية تغيرات المبادئ كجزء من تطور المجتمع المدني الناشئ، فهي ليست جديدة تماماً. لقد شملت الحركات المعادية للعبودية في القرن/١٩ أفكاراً عبر الأمم وكذلك سياسات محلية وانتشار العلم والمعرفة مثال مبكر آخر. وأمثلة من القرن/٢٠ شملت تطور أفكار حقوق الإنسان، لم يعد تقرر المصير كافياً لجعل الدولة شرعية، فاحترام قوانين حقوق الإنسان عامل آخر^{٢١}. لم تكن العولمة، ولا أي شكل من أشكال الحكم العالمي، ولا ظهور أي نوع من المجتمع المدني عبر الأمم، والذي تقوية المنظمات غير الحكومية، شيئاً جديداً تماماً. فالعولمة المتجسدة بكثافة في شبكات الاعتماد والتبادل الممتدة بين الحدود العالمية والتي تصاحب انتقال المعلومات المتسارع والرخيص وكذلك انتقال الأفكار والمال والبضائع والناس عبر الحدود، بل كانت تتزايد على مدى القرون^{٢٢}. وكذلك كانت المنظمات غير الحكومية وتحالفات المجتمعات المدنية نشيطة في الحكم العالمي وصناعة السياسات على مدى سنوات كثيرة. والجديد هو الانفجار الأخير في الإعداد والنشاط وروية مبادرات عالمية من قبل العاملين بالمجتمع المدني في قضايا مختلفة، مرتبطة، وبدرجة جزئياً على الأقل، بالتوسع السريع لعولمة الاتصالات والانتقال والإنتاج. وبالفعل تصادفت ظاهرياً العولمة المتسارعة مع ازدهار منظمات ومجموعات المجتمع المدني في العالم. أن الموهبة والغريزة لدى الهيئات الطوعية لمواجهة المشكلات الاجتماعية ترى بصورة متزايدة في الدول النامية في آسيا وأمريكا اللاتينية وأفريقيا وفي الدول الانتقالية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق. لقد برزت هيئات المواطنة لتجد حلولاً للمشكلات المحلية ولتقدم الخدمات المطلوبة ولتضغط من أجل حكومات أفضل، ولتحالف مع مجموعات ذات عقلية متشابهة من مجتمعات أخرى، ولتشكل العمليات البارزة للحكم العالمي^{٢٣} إن كثافة شبكات الاعتماد المتبادل التي يخلقها التنافس المتزايد من الأفكار والبضائع والناس عبر الحدود الجيو-سياسية ((تقليص العلم ليس تقليصاً مادياً فقط (بجعلنا على اتصال مباشر ومستمر الواحد بالآخر)، ولكن نفسياً أيضاً (بجعلنا أكثر وعياً لتشابهاتنا واختلافاتنا واعتمادنا المتبادل المعقد)^{٢٤} ويشكل ((أثر تقلص العالم)) وعينا وعملنا الفردي، والمهم بالقدر نفسه في يشكل الطرق التي يتجمع بها الأفراد معاً ليديروا حياتهم وظروفهم بجهود جماعية

²⁰ شيلا جاتاسوف Privat note to auther's كانون الثاني ٢٠٠٠.

²¹ بول هيرست - مصدر سابق، ص ٢٢-٢٣.

Robert Keohane, Joseph Nye, power and Independence (Addison Wesley), Ch, power and Independence and Globalism.

²³ جوزيف ناي وجون دوناھيو، الحكم في عالم يتجه نحو العولمة، تعريب محمد شريف طرح مكتبة العبيكات، ط١، السعودية-٢٠٠٢، ص ٣٧٣.

Keohan and Nye, opcit pp 201-202.

جزء من المعايير والمعرفة بعد تقريره. لم تكن المجتمعات فالعولمة ية والتي والبضائ لمت غير ة السجدة ابط وريف تبطه، وبالفعل تمتع من الاجتماع وفي الب الموضوع جل حكي ي، وخلقها ص لعل (آخر) (د) نر فة بود جمة

يقلل من أهمية بعض الترتيبات المؤسسية التي نفذت في الماضي عمل إعطاء الأفراد هوية فردية ونوعاً من الاستجابة الجماعية المقبولة لظروفهم، فهو يفسح للحاجة ويؤمن الفرص للأفراد ليشكلوا عمليات جماعية جديدة ومؤسسات تستطيع ان تكمل أو تحل محل المؤسسات القديمة. في هذه المناسبات، تؤثر العولمة في طب وعرض الحكم. لقد عمقت العولمة بواسطة التغييرات في النظام السياسي العالمي، السوق الاقتصادية العالمية وتكنولوجيات النقل والمعلومات. لقد أكد الانتثال السريع للأفراد وللمعلومات عبر العالم الأحوال المادية والسياسية غير المتساوية على كبر التي كان يعيشها سكان العالم، وأثارت طلباً واسعاً للمساواة في السياسة والاقتصاد إضافة إلى معنى أوسع لاعتمادنا المتبادل في الاقتصاد والسياسة والأخلاق. لقد أسهمت هذه التغييرات في تبديل التوازن في أدوار الدولة والسوق والقطاع المدني في الدولة المفردة وفي الاقتصاد السياسي العالمي. في الماضي، عندما كان المرء ينظر إلى الاقتصاد السياسي العالمي كان يستنتج أن العوامل المسيطرة بشكل واضح هي دولة السيادة. كانت هذه الدول تبدو مسؤولة عما يجري من حدودها، وما كان يجري عبر حدودها- في الأراضي الدولية- كان يبرز من التفاعل بين الدول المفردة، ولكن في العقد الماضي اتسعت السوق وتقلص دور الدولة في مناطق كثيرة، في الغرب والشمال وكذلك في الشرق والجنوب. ان التحول إلى اقتصاد كير مفتوح قد قلل من سلطة الدول المفردة في إدارة مصائرها الاقتصادية. كانت المصائر الاقتصادية هامة غالباً في التأثير في استقرار الأنظمة السياسية، لذلك ضعف الحكومات المحلية أمام الاقتصاد العالمي. وقد نشأت حركات في دول كثيرة تقوى الاقتصادية الجبارة التي كانت تشكل العالم، وعجز الدول عن تقديم حماية كافية لتأمين نوع من الاستجابة. وكانت هذه الحركات أحياناً سطحية في أوقات معينة من دول نامية معينة. وفي أوقات أخرى انتشرت هذه الحركات السطحية في دول نامية أخرى أيضاً، تحالفت الحركات القومية مع أهداف عالمية لتساعد على تحقيق أهدافها القومية أو لتساندها بوزنها في الجهود العالمية. إن المجتمع المدني منطقة ارتباط وعمل مستقلة عن الدولة والسوق، يوجد فيه مواطنون فيها تنظيم ومتابعة أهدافهم الهامة بالنسبة لهم منفردين. تشمل عوامل المجتمع المدني على الجمعيات الخيرية ودور العبادة والحوار والنوادي الاجتماعية وجماعات حقوق الإنسان وروابط أولياء المعلمين والاتحادات والهيئات التجارية ووكالات كثيرة أخرى. نحن هنا

25 Mure Lindenbeng and J-patrick Dobef, The challenges of Globalization, Nonprofit and vdvntary sector Quarterly, vol 22, No.4, Snpplement 1999 p. 4-24.

مهتمون اهتماماً أولاً بمنظمات المجتمع المدني، وغالباً ما يشار إليها بالمنظمات غير الحكومية التي تركز على رفع الفقر، حقوق الإنسان، التدني البيئي والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وتنفذ هذه المنظمات غير الحكومية بمجموعة من الأنشطة كتأمين الخدمات للناس المحتاجين أو تحليل ومساندة السياسات التي تدعم الجماهير المحرومة وترعى البحث وتوزيع المعلومات، بينما تركز بعض المنظمات غير الحكومية على خدمة أعضائها أو خدمة الزبائن خارج المنظمة ويعمل بعضها في المجال المحلي في مشاريع يشعر بأثارها من القرية إلى السياسة الوطنية ومن ثم إلى الساحة العالمية.

٣. آثار العولمة على المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية

ما هي الطرق التي تؤثر بها العولمة في المجتمعات المدنية ضمن حدود الأمة الواحدة أو الدولة الواحدة وخارجها؟ سيكون التركيز على المنظمات غير الحكومية ونشوء المجتمع المدني عند أجابتنا على هذا التساؤل. إن تأثيرات العولمة تنصب على المنظمات غير الحكومية بسبب ان المبادرات العالمية غالباً ما تكون جذورها في القضايا الوطنية أو القومية، وتبدأ حولها عوامل المجتمع المدني بالتصوير ومن ثم نجد هذه العوامل ان المبادرات العالمية مطلوبة لمهاجمة المشكلات المشهورة وحتى حينما تبدأ حركات عالمية بمنظمات غير حكومية عالمية، فإنها غالباً ما تكون بحاجة إلى منظمات غير حكومية محلية لتعطيها القاعدة السياسية والشرعية التي تحتاج إليها لتستمر وتكون فاعله. وقد يكون من الأشياء الجيدة ان بعضاً من أكثر التأثيرات أهمية لأنشطة المنظمات غير الحكومية هي تأثيرها في المجتمعات المدنية المحلية.

وقد تختلف الدول كثيراً من حيث المدى الذي تكون فيه منظمات المجتمع المدني نشطة في الحياة القومية، وكذلك من حيث انفتاحها لتأثيرات العولمة^{١٦}. يبدو بعض الأنظمة السياسية تحاول أن تبقى بعيدة عن التأثيرات الخارجية للمنظمات غير الحكومية، مثلاً كوريا الشمالية، بينما تلتزم أنظمة أخرى بطريقة معينة للتحكم بأي وكالات لا تخضع للدولة والتي قد تشكل تهديد لسلمة الدولة الصين الشعبية. ولكن عندما تفتح الدولة أبوابها لتدفق المعلومات والتجارة والسفر، تكون التأثيرات عميقة في المجتمع المدني ومنظماته. أن تدفق المعلومات عبر الأنترنت يستطيع ان يزيد وبسرعة فائقة وعي الناس من كل المستويات الاجتماعية بالآخرين، كيف يعيشون، ما هو مستوى دخلهم، أسلوب حياتهم هنا يتحقق وعيهم بالآخر. فالوعي المتزايد بالعالم الأوسع لا يمكن تجنبه، فالمعلومات والاتصالات غيرت من الوعي السياسي لأولئك الذين كانوا في عقود سابقة لا يعرفون ما يجري

16. Ester M. Salamon, The Rise of Nonpr of it sector, forergn affairs
Affairs, vol, 75 No. 4- 1994 pp. 109-116.

مات غير العلم. إن التعرض لهذا الفيض من المعلومات يستطيع ان يتحدى المعتقدات القديمة، أو لاجتماعية يوقظ الولاء للقيم والشخصية الاجتماعية القديمة، أو ان يثير مناقشات معمقة لمفاهيم عقلية لثمن والأهمية كتحريير المرأة أو التطهير العرقي. ويمكن لتدفق المعلومات ان يخلق أصواتاً أساساً لنشوء منظمات المجتمع المدني أو الحركات الاجتماعية التي تتحدث عن حرومة أو حرمية جديدة وقوية في السياسة والسلطة وإدارة الحكم.

إن ضمن هذا السياق تستطيع قوى العولمة عند المستوى القومي أو المحلي ان تؤثر على سياسة الدولة الاقتصادية، أو ان تزيد الضغط من أجل خلق سيولة ديمقراطية، أو ان تثير أسئلة حول سيادة الدولة و قدرة تحكمها بالشؤون العالمية.

النظية والخارجية بمنأى عن تأثير حركة المجتمع المدني وفعل المنظمات غير الحكومية. وتستطيع هذه التأثيرات والتطورات ان تخلق حيزاً سياسياً لمنظمات المجتمع المدني كصادر بديلة للخدمات التي كانت تقدمها الدولة، وحراساً ودعاة لتشكيل سياسة

ات العولمة وتنفيذها. وعندما توسع العولمة الحيز السياسي فقد تبرز عوامل المجتمع بما كان ينبغي لتستجيب لهموم المجموعات الفقيرة والمهمشة التي بقيت لا صوت لها في

في بالتضامن السابقة. فكلما زاد انفتاح الدولة للعولمة، كلما زاد توقع المرء أن تصبح المشورة منظمات غير الحكومية عوامل قوة وطنية. هذه العملية ذات ثلاث عوامل: للعولمة

لباً ما تكون في الوعي قد يعبر عنها من خلال المنظمات غير الحكومية؛ ويحتمل ان تضع التي تحفز تكييدات على الأفكار السياسية كالفردية والحرية والحقوق المتساوية التي تكون

تر التغيير منظمات غير الحكومية نتاجاً لها وقوة في أن واحد؛ وتدعو العولمة العوامل المحلية. (منظمات غير الحكومية العالمية والوكالات الدولية)-التي تشجع وتقوي

بات المصالح المدنية القومية. وأسهمت العولمة في ظهور المشكلات الجديدة التي ٢٦. يبرز منظمات غير الحكومية العالمية وتحالفاتها متعلقة بها، وظهرت المشكلات

جبية للعولمة عبر الأمم، كالتسخين الأرضي و نفاذ الأوزون والتلوث عابر الحدود، قد أثقلت يرى طريق الترتيبات المؤسسية بين الدول^{٢٧}. لقد ظهرت المنظمات غير الحكومية

ة الدولة من منظمة وتحالفاتها لتستجيب إلى المشكلات المتعلقة بالعولمة من جوانب عدة: تقديم والمعرفة ليست والاستجابة للكوارث وتحليل البدائل السياسية والدعوة لها وتنشيط التعليم.

غير الاعتراف منظمات غير الحكومية بدأت تلعب دوراً مهماً في دول العالم الثالث والى حد ما قد ، الاضطرار من تفرط الدولي أي تعولمة تلك المنظمات وتأثر بذلك المجتمع المدني. والآن يمر

ن وعي من المجتمع المدني في بلدان الجنوب بمرحلة انتقالية بالغة الصعوبة والتعقيد تتشابه فيها والاتصال مع العولمة والتغيرات الداخلية، ويتضمن ذلك التوجه الغربي لصناعة مجتمع مدني

ما يجري من عن طريق عولمة المنظمات غير الحكومية وتحويلها إلى آلية لتنفيذ رؤى

27 Yongg, Global Governance: Drawing Insights from Environmental Policy, Center M. MIT press 1997.

وخطط تنموية تهدف إلى إدماج تلك الدول في إطار النظام العالمي الجديد، إذ تحرص قوى العولمة على توظيف المجتمع المدني كظاهرة اقتصادية وسياسية تستجيب لأهداف العولمة بإعادة هيكلية الرأسمالية الجديدة بإدماج اقتصادات مختلف البلدان في العالم وفق شروط رأسمالية المراكز على أساس إعلاء شأن السوق وآلياته وفرض حرية انتقال رؤوس الأموال والاستثمارات والسلع والخدمات دون قيود تطبيقاً لأيديولوجية الليبرالية الجديدة^{٢٨}. لذا تدعو العولمة لتقوية منظمات المجتمع المدني بغية إضعاف الدولة وما يقود إلى تفكيك المجتمع، بينما العالم الثالث بحاجة إلى دولة قوية وقادرة ولكن يجب أن تكون ديمقراطية. أن عولمة المنظمات غير الحكومية ومن ثم مؤسسات المجتمع المدني قد أحدثت تغييراً عميقاً في تركيبة المجتمع المدني الذي تتهدد مؤسساته بالتحول عن مهمتها الأساسية في دعم التطور الديمقراطي إلى مخفف لحدة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الناجمة عن سياسات العولمة وتأثيراتها على تلك المجتمعات وبشكل خاص المجتمع العربي، ولنا في العراق مثال حي على ذلك بما نلمسه من انفجار وليس نمو المجتمع المدني بسبب نشوء منظمات غير حكومية تتكاثر يوماً بعد يوم ولكن بأهداف جزئية جداً ودون أن يكون لديها رؤية مشتركة أو تنسيق للجهود يؤدي إلى تفتت وحرمان المجتمع المدني العراقي من البروز كقطاع ثالث إلى حد الدولة والقطاع الخاص. فبالنسبة للمنظمات غير الحكومية العالمية وتحالفاتها تركز على تحليل السياسة والدعوة لها، أن كافة شبكات الاعتماد المتبادل العالمي التي خلقتها العولمة، زادت من تنوع القضايا التي تؤثر في المجتمع المدني. في بعض الأحيان تتشكل المنظمات الأولية على المستوى المحلي ثم تبني تحالفات من المنظمات غير الحكومية على المستوى الوطني والعالمي. أن شبكات الدفاع عبر الأمم والمنظمات بالبيئة والفساد وحقوق الإنسان مثلاً قد بدأتها منظمات غير حكومية عالمية، ثم تحللت في ما بعد مع شركاء قوميين ومحليين^{٢٩}.

في حالات أخرى بنت المنظمات غير الحكومية القومية ائتلافات مع حركات عالمية لتؤثر في صانعي السياسة القومية والعالمية، يعني أن العولمة وآلياتها لها وعياً لاحتمالات التحالف ومكنت من تبادل المعلومات بسهولة، وأسهمت في الاتصالات الشخصية بين العوامل الرئيسية. وقد مكنت هذه الاتصالات وتبادل المعلومات والمشاورات عبر شبكات الانترنت، مؤسسات المجتمع المدني من التعرف على طبيعة المشاكل والموافقة عليها، وأن تكتشف الأسباب وتقدر الخيارات وتعمل على الحلول وخطط التنفيذ عبر الحدود الجيو- سياسية والثقافية التي كان يمكن

²⁸ جريدة كفاح الشعب - بغداد العدد في ٢٠٠٥/٤/٢.

تتبع مثل هذه الأعمال قبل عقد مضي. وهكذا أثرت العولمة على المنظمات غير الحكومية وبالتالي المجتمع المدني أي هناك نظام عالمي للثقافة والحوار أخلق مجتمع مدني عالمي، في إطار هذه العولمة التي تعمقت بشكل كبير في مؤسسات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية والتي لها علاقة صميمية مع حقوق الإنسان والحريات العامة، كيف يمكن ان نتصور حجم التأثير المتبادل بين المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني وحقوق الإنسان في العالم وبشكل خاص العالم العربي ودول الجنوب.

عولمة حقوق الإنسان

إن المجتمع المدني كما حدونه سابقا يتحدد بكونه حقلا مجتمعيا من المؤسسات غير الحكومية ومما يطابقها من منظومات سياسية وسوسيلوجية وثقافية وتنظيمية، تتوط بنفسها مهمة الدفاع عن المجتمع عامة وحماية حقوق مواطنيه في الحرية والكرامة والكفاية. فان العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني هي علاقة تضاف وتجادل ومن ثم علاقة تعاون باتجاه تقدم المجتمع المعني. ومن هنا، فان مؤسسات المجتمع المدني حين تقف في وجه محاولات الدولة للهيمنة عليه، تكون قد عملت على ضبطها وتصويب مؤسساتها. وبالمقابل، تنزع مؤسسات من المجتمع المدني إلى الخروج عن الخط الناظم للمجتمع العام-في حدوده الوطنية والدستورية والديمقراطية- من الدولة تمارس وظيفتها حين تعمل على تصويب ذلك. (٢٩) ويذهب البعض وفقا لذلك إلى إن الدولة ليست إلا مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني، لذا فان بناء الدولة شروط بوجود مجتمع مدني^{٣٠}. من هذه النقطة تحديدا يتم التداخل بين العولمة، كمبدأ مفهوم وأيديولوجية ونشاط اقتصادي، والدولة وبالتالي المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية، فالعولمة تبرز تداعياتها من خلال النشاط الواسع والمتداخل للمنظمات غير الحكومية عبر العالم وكذلك ترمي بظلالها على مؤسسات المجتمع المدني. العولمة ومن زاوية سماتها وظواهرها، تبدأ تعمل باتجاه واحد شبكي أي تؤثر على المحيط القائمة في العالم الثالث بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص.

وهكذا تضغط العولمة في اتجاه توحيد النظم الاقتصادية والقانونية بين الكيانات السياسية المختلفة لصالح الدول النافذة في العالم، وبما إن مقومات النظم السياسية والاقتصادية العربية تحديدا تعاني من الضعف، فان التأثير سيقع عليها بشكل مباشر أيضا وان مقومات الدولة القطرية أيضا تعاني من التدهور والضعف. إن هذا الضعف السياسي والاقتصادي للدولة القطرية العربية من شأنه إن يخلق مجتمع تابع للتحرك الكوني الأمر الذي يهدد التنوع البشري وبالتالي يهدد الدولة من جهة ويؤثر

إذ تتركز
ب لأهداف
العالم وفق
برية انتقال
ة الليبرالية
الدولة و
ولكن يجب
ت المجتمع
اته بالتحول
الاجتماعية
المجتمعات
نلمسه من
تدكاثر يوم
للجهود
إلى جانب
عالماتها التي
العالمي التي
في بعض
ن المنظمات
أهم والمهنة
ة، ثم تحلت
ات مع حق
آلياتها
رأسهت في
الات وت
من التعر
ارات وتوق
كان يمكن

٣٠ Kyek an... من ثلاثية الفساد الى قضايا المجتمع المدني، قضايا في الفكر العربي المعاصر، دار
١٩٢ ص ٢٠٠٢-٢، دمشق، والنشر- ١٩٩٢.

يشكل مباشر على المجتمع المدني وهكذا يتحول برنامج العولمة إلى أداة لتدمير الإنسان وبالتالي إسقاط حقوقه الإنسانية . فإذا ما حدث ونجحت العولمة بشكلها الحالي فإن هذا يعني تلاشي التنوع الحضاري وبالتالي تهديدا حقيقيا لاستمرار وتطور المجتمع البشري على كوكب الأرض. وقد يتعرض العرب كقومية أو مجموعة بشرية حضارية إلى مخاطر الاضطهاد القومي والتصفية العرقية من جراء تطور هندسة الجينات في غياب منظومة إنسانية من القيم المتجددة وتحت وطأة الشراهة والطغمة المتزايدة لقوى الإنتاج الجديدة التي يزيد من شهيتها امتلاكه لأدوات إنتاج جديدة تسمح لها بتحقيق أطماعها دون قواعد أو ضوابط. فإن بعض القوميات أو المجموعات البشرية سيكونوا معرضين لنوع من الاضطهاد قد يؤدي إلى العودة إلى نظريات عنصرية قديمة وهذا بدوره سيشكل تهديد واقعي وحقيقي لحقوق الإنسان في كل مكان لكن ونظرا لهشاشة النظام العربي فإنه سيتعرض لهذه المخاطر قبل غيره إلى حد ما.

وان الذي حاصل واقعا إن الشعب العربي في كل أقطاره لا عليك من الضمانات التي تحميه من التداعيات والتأثيرات السلبية الناجمة عن العولمة سواء في إطار الدولة القطرية أو الجامعة العربية أو في نطاق عمل المنظمات غير الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني ، لأنه وكما أشرنا سابقا على حجم الاختراق العولمي لبيوت الكيانات ، ولذلك سيواجه في إطار حقوق الإنسان والحريات العامة تحد بين الأول من الدولة والنظام السياسي القائم ومن النظام العولمي الإنساني ثانيا، لان المشكلة العربية هي تقنين العلاقة بين الشعب والسلطة ومن احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية فإن جميع الحكومات ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ وإلى الآن تتسم بصفات لا تفارقه على مر العقود، وهي ظاهرة تركيز السلطة السياسية بيد "الرئيس أو "الملك" أو "الأمير"، وتبعها تعسف واستبداد مرة باسم الثورية وأخرى باسم الشرع، وأخرى باسم الحكم الإلهي وأخرى باسم الضرورة التاريخية، وهكذا عانى الشعب العربي في بلاده من الاضطهاد والقتل والتشريد يعني امتهان لكرامتها الإنسانية من أن يجد من يحميه. وقد أدى ذلك إلى إن المواطن العربي لم يجد بدا من التمسك بالشكوى إلى المنظمات الإنسانية أو المهتمة بحقوق الإنسان سواء كانت حكومية أو غير حكومية ولكن مصيره الهجرة، أي إن فئات كثيرة من أصحاب الرأي من الشعب العربي كانت قد هاجرت وتغربت أو أنها عاشت غربية في بلادها . ونتيجة لذلك فإن حركة حقوق الإنسان في الوطن العربي قد تعولمت وبالتالي فإن العولمة مظهرة قد دكت أوكار النظم السياسية العربية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحركة العربية لحقوق الإنسان قد نمت وتطورت ببطء شديد واغلبه قد نشأت

إجراءات عن طريق الأمم المتحدة ومجلس الأمن بغية التدخل وهذا حصل في العراق والسودان وأفغانستان وسوريا ولبنان^{٣٣}.

وبقيت الجامعة العربية غير قادرة على إرساء نظام شامل لحقوق الإنسان العربي، ولكن من نتائج عمل الجامعة في إطار حقوق الإنسان إنشاء لجنة إقليمية عربية دائمة لحقوق الإنسان عام ١٩٦٨ وقد ألحقت هذه اللجنة التي تعد لجنة حكومية هيكلية بالجامعة ويمثل فيها الدول العربية بعضو واحد لكل دولة بغض النظر عن صغر الدولة أو كبرها . وعلى الرغم من محدودية التصور الذي أقرته جامعة الدول العربية فقد اعد مشروع ميثاق عربي لحقوق الإنسان تطبيقاً لقرار مجلس الجامعة في ١١ آذار ١٩٧٩، وذلك بواسطة اللجنة العربية الدائمة لحقوق الإنسان من خلال دورتين لها انعقدتا في أب ١٩٨٢ وبناء على ذلك اصدر مجلس الجامعة قراراً في آذار ١٩٨٣ يقتضي بإحالة المشروع على الدول الأعضاء لإبداء ملاحظاته بشأنه ويتخذ قرار بشأن المشروع إلى الآن. إضافة إلى ذلك فان اجندة حقوق الإنسان العربية تتضمن صك الميثاق العربي لحقوق الإنسان الذي اعتمده مجلس جامعة الدول العربية في ١٤/٩/١٩٩٤ وقد جاء في الديباجة، إيمان الوطن العربي بوحدته، والتأكيد على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة والشرعية الدولية لحقوق الإنسان. وهنا يظهر بشكل واضح تأثير النظام العالمي على المنظمات غير الحكومية العربية لأنها لا تستطيع أن تتجاهل مبادئ دولية "عليا" قد صادقت عليها دولها، إن الدول العربية موقعة على جميع اتفاقيات الشرعية الدولية لحقوق الإنسان باستثناء بعض التحفظات العربية عن الاتفاقيات كتحفظ السعودية على اتفاقية الطفل. هنا يبدو واضحاً تأثير العولمة على حقوق الإنسان في الوطن العربي من خلال التداخل الواضح بين المحلي والدولي.

وقد جاء في الميثاق العربي لحقوق الإنسان موضوع حق الشعب في تقرير مصيره وكذلك ركز على الحقوق المدنية والسياسية وتقريباً كما جاءت في العهد الدوليين (العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية) واهتم الميثاق بحماية الحياة الخاصة للإنسان العربي مع ضمان حق حرية العقيدة، والعمل والتعليم وحق اللجوء السياسي للمواطن العربي. إن آليات حقوق الإنسان في الوطن العربي قد أخضعت لمرجعيات دولية (الشرعية الدولية لحقوق الإنسان). وبالتالي فان حجم التأثير الخارجي يلعب دور أحياناً إيجابياً للضغط على الحكومات العربية لتحسين حقوق الإنسان. ستبقى مسألة حقوق الإنسان موضوع للخطاب السياسي والاجتماعي العالمي والمحلي.

³³ نبيل محمد سليم، مؤسسات المجتمع المدني والبناء السياسي. المؤتمر العلمي السنوي لمركز الدراسات الدولية - جامعة بغداد في ١٤-١٥ ك ٢٠٠٤.

ورقة للأحزاب السياسية والمنظمات الحكومية وغير الحكومية، وموضوع رئيسي للساتير العربية، لا يخلو دستور عربي من ضمان الحقوق السياسية والمدنية وحماية الحريات الشخصية لكن واقع الحال لم يضمن الفرد العربي حقوقه إلا عندما يكون تحت سياسيا أو إنسانيا خارج بلده أو في دولة عربية تتأصب أخرى العداء. لكن مع بروزت مشاريع معاهدات عربية لحقوق الإنسان مثل ورقة اتحاده الحقوقيين العرب (١٩٨٥)، أو المعهد الأعلى الدولي للعلوم الجنائية (١٩٨٥)-الميثاق العربي لحقوق الإنسان والشعب في الوطن العربي أو مشروع المعاهدة العربية التي أعدتها الجامعة العربية. وهناك مبادرات غير حكومية مثل المنظمة العربية لحقوق الإنسان، الجمعيات المسترة في الوطن العربي الخاصة بحقوق الإنسان.

إن عولمة حقوق الإنسان في إطار الشرعية الدولية لحقوق الإنسان أو في إطار الأمم المتحدة والوكالات التابعة لها يقضي إلى ضرورة أن تولي الحكومات العربية تلك الحقوق من الأهمية لضمان سمعتها الدولية أو الحفاظ على استمرارها. لكن المشكلة التي تثير إشكالية ذات تأثيرات انية ومستقبلية هي التي تتعلق بمبدأ التدخل لأغراض إنسانية أو ما يسمى التدخل الإنساني. فهناك من يرفض التدخل بشكل مطلق وهناك من يدعو لتأييده. اعتقد إن بدء حوار معمق حول هذه المسألة خصوصا في الوقت القانوني والسياسي والحقوقي الذي يتطلب ضوابط معينة وبخاصة ماله علاقة بالشرعية الدولية. والتدخل لأغراض إنسانية لا يستهدف مباركة العمل العسكري أو الحرب أو الاحتلال بل يستهدف حماية حقوق الإنسان ولكن ليس بالوسائل العسكرية.

إن مبدأ التدخل الإنساني-العالمي يثير إشكاليات فكرية وسياسية عند توظيفه في ضمان مصالح عالمية ضيقة للقوى الكبرى، ولكن المهم كيف يوظف هذا المبدأ بشكل صحيح وبعيدا عن السياسة أو استخدامه من قبل الولايات المتحدة عبر التدخل في المعايير كما حصل في الموقف من القرارات الدولية إزاء فلسطين أو العراق أو قضية دارفور وجنوب السودان أو ما حصل على سوريا من قرارات جديدة، في هذا الإطار أصبح التدخل الإنساني ضمان لمصلحة أمريكا بمفردها أولا وحلفائها ثانيا، فالشرعية الدولية تخدم الكيان الصهيوني والمصالح الغربية للولايات المتحدة وتصبح وبالأعلى الشعب العربي.

إن عولمة حقوق الإنسان في إطار المنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني أصبح ذو حدين، فقد تفتح الباب على الحكومات بحيث لا يمكن غلقه مرة أخرى، ومن ناحية أخرى قد تؤدي إلى تدمير الإنسان العربي كما هو حاصل في فلسطين والعراق، إن عولمة الحقوق هو برنامج إمبريالي عندما يكون بيد قوى دولية محددة وتعمل في ذلك تداخل بين العولمة والإمبريالية لكن لا يعني انهما شيء واحد، لكن هناك

العراق

الإنسان

إقليمية

حكومية

ظر عن

مة الدول

جامعة في

ن خلال

أفي

بشأنه ولم

ن العربية

ل العربية

أكد على

شكل حتى

أن تتجاذب

على جميع

عربية من

عولمة على

ولي

في تقرير

في العهد

ية، والحد

ة الخاصة

ء الميالي

معت نفس

بر الخارج

نسان . لكن

ي والمحر

سنوي

علاقة، فنفس قوى الإنتاج الرأسمالية التي كانت تقود العالم بمرحلة الإمبريالية هي نفسها التي تقود العالم اليوم من خلال مرحلة جديدة أكثر تبلورا، هي العولمة.

وأمام ذلك الشكل الإمبريالي يبقى المواطن العربي بين سلطة الدولة-الأمنية وسلطة العولمة يبحث عن ضمانات دستورية وقانونية ودولية لحماية حقوقه التي أهدرتها دساتير دولته رغم إن هذه الدساتير كانت قد تضمنت اجمل المبادئ وأحسنها شكلا ومضمونا إلا إنها بقيت دون أن ينفذ منها الحد الأدنى.

اشكالية حقوق الانسان في الوطن العربي

الية في

الامن-

رقه لتي

وأحس

المدرس المساعد

اثمار كاظم الربيعي (*)

قصة تمهيدية

كثرت الكتابات وكثر الحديث في الآونة الاخيرة عن حقوق الانسان، واصبح هذا الخطاب لا يصدر فقط عن الشعوب، وانما عن الحكومات ايضاً، فشكلت الجمعيات والنوادي وحتى الوزارات المطالبة بحقوق الانسان، هذه الاهمية التي تحتلها هذه التنظيمات اليوم لم تكن معروفة قبل ذلك فما هو السبب؟

لقد جرت احداث وتحولات كبيرة على المستوى العالمي، وخصوصاً خلال هذا الاخير من القرن الماضي وخلال السنوات الاولى من هذا العقد، اهم هذه الاحداث كان انهيار جدار برلين الذي مثل الخطوة الاولى لتفكيك الاتحاد السوفيتي، بعد اصبح العالم محكوم من قبل قطب واحد، ان كان محكوماً بعلاقة الصراع بين اثنين والحدث الثاني المهم الذي يمكن القول انه كان تاريخياً هو الهجوم على برجها سنة التجارة العالمية بنيويورك في ١١ سبتمبر ٢٠٠٠، وكان كل الذين اتهموا في هذه الهجمات من المنطقة العربية المسلمة بهذا الحدث تغيرت استراتيجيات الولايات المتحدة الأمريكية بشكل جذري، واعلنت حربها على الارهاب الذي كان احد اسبابه - من وجهة نظرها - هو غياب الديمقراطية بين الحكومات وشعوبها واصبحت كل مناطق العالم مقروحة امام التدخل عندما تقتضي المصلحة القومية للولايات المتحدة وامنها التي القيام بذلك".

بعد هذه الاحداث والتحولات المهمة كان لا بد من القيام باصلاحات جذرية في واقع العربي، وكان اولى هذه الاصلاحات يدور حول محورين مهمين، هما حقوق الانسان والديمقراطية، ولاسيما وان هذين الامرين يعتبران الان معياراً للشرعية السياسية بالنسبة للحكومات، فانها تشير ايضاً الى انها برنامج سياسي جديد يتيح فرصة لجمعيات والنوادي غير الحكومية المحلية في البلاد العربية للدفاع عن حقوق الانسان من تجاوزات الحكام وانتهاكاتهم لحقوق شعوبهم، وهكذا اخذت جل التنظيمات السياسية العنصرية في مجال حقوق الانسان على عاقتها مهمة للدفاع عن الانسان العربي

مركز الدراسات الدولية/ جامعة بغداد

مركز الصلي، التحولات الجذرية في الوطن العربي "ضرورة ام اختيار"، مقالة منشورة على

الموقع الإلكتروني على الموقع www.mengos.org